الوطن ...في شعر ابن حمديس الصقلي

م.م. كـــريم علكـــم عويـــــز
جامعة ميسان- كلية التربية الاساسية –قسم اللغة العربية

المقدمة...

مما وقع بين يدي لأقرأه ديوان ابن حمد يس الصقلي، فوجدت فيه ما يثير ويهز المشاعر وتجسد ذلك بقصائد ومقطوعات تفيض اسى وحسرة وذكرى ونجوى، وتكشف عن الم الغربة بعيداً عن الأوطان التي تركها الشاعر بعدما استلبها عنوة المغتصبون فاثر الهجرة من وطن للاجنبي اليد الطولى فيه. فكانت مسيرة طويلة قضاها في الغربة منذ صباه حتى وفاته ابتدأها من صقلية فالشمال الافريقي فالاندلس ثم ثانية الى الشمال الافريقي الذي مات فيه ، وكان ابن حمدين يس الغريب وفيا لصقلية واهلها وتاريخها. وعلى الرغم مما تيسر له في الغربة من لهو ومال وجاه ، الا انه لم يجنح او يتقهقر امامها فظلت صقلية تملا جوانحه وتشخص امامه، فكان أشبه ما يكون بشعراء المقاومة الفلسطينية.

وفي ضوء ذلك انحصرت الدراسة في مباحث عديدة تناولنا فيها على التوالي نبذة عن حياته ثم الوطن في الشعر ثم خصصنا هذا في شعر ابن حمد يس وما ورد في شعره في الحياة الصقلية عامة واهلها وابطالها بخاصة ثم اثر الغربة ولوعتها ومرارتها في شعره، نامل ان يكون هذا البحث مساهمة للكشف عن خبايا ادبنا العربي وادب المقاومة بالذات وما العون الا من الله.

نبذة عن حياته

في سرقوسة،[١] احدى الحواضر الصقلية ، ولد عبد الجبار سنة ٤٤٧هـ [٢] او سنة ٤٤٤هـ،[٣] وفي هذه المدينة نشأ في ظل حضارة ومدنية،[٤] وارتشف من حياة اللهو والمرح والحب في شبابه كثيراً [٥] اتصف بالفروسية والقتال،[٦] ولم تدم هذه الحياة طويلاً، ففي سنة ٤٧٠هـ ترك ابن حمد يس صقلية وهو في الرابعة والعشرين من العمر بعد ان دخلها(النورمان) فتحولت البلاد الى جحيم لا يطاق وقاوم ابناءها الاحتلال [٧] ، الا ان البطش كان اقوى فغادروها مرغمين وتمنوا في كل لحظة العودة ، الا ان اموراً كثيرة كانت تمنعهم وكما قال ابن حمد يس:

ولـــو ان ارضـــي حـــرة لاتيتهـــا بعـــزم يغـــدُّ الـــسيرَ ضـــربة لازب
ولكـــن ارضـــي كيـــف لـــي بفكاكهـــا مـن الاسر فـي ايـدي العلـوج الغواصـب[٨]

وبعد عام من الاحتلال دخل ابن حمد يس الاندلس [٩] عن طريق إفريقيا فصاحب المعتمد واصبح شاعره، واستمرت صحبتهم طويلاً ، وفي الغربة وصلته إنباء وفاة والده وبعدها ضاعت اشبيلية [١٠] وامتد الزمن بابن حمد يس حتى بلغ الثمانين قضاها في غربة والام ومآسٍ وتقلبات.

أعقب ابن حمد يس ولداً اسمه محمد وكان شاعراً كابيه او ربما اشعر منه [١١] من آثاره تاريخ الجزيرة الخضراء وبلاد الاندلس [١٢] وديوانه الذي حققه الدكتور احسان عباس عام ١٩٤٠ [١٣] ، وتوفي عام ٢٧ هـ [١٤].

كان شاعراً مطبوعاً ومجيداً وتاثر بابي تمام وابي العتاهية فهو(شاعر ماهر يفرطس اغراض المعاني البديعة في بحر الكلم على درر المعنى الغريب وفي معانيه البديعة)،[١٥] وشعره في اهله واقاربه واصدقائه كان مؤلماً يدمي القلوب ويدمع العيون، صدر عن صدق ومعاناة حقيقية في الغربة فتذكرهم والوطن بكاه كثيراً وشكل ظاهرة واضحة في ديوانه مما مهد لنا دراسته في هذا البحث.

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبحث الاول/ الوطن في الشعر

مما تاصل في ذات الانسان منذ الفطرة، كما تأصلت امور كثيرة ، الوطن الذي ظل حياً لا يعرف كنهه، وهكذا كيّف الله البشر والحيوان في اوطانهم وحبتهم طبيعتها بما يوفر العيش والاستمرار بالحياة، فالارض لا تقل اهمية عن حنان الام لوليدها خاصة وانها مسرح الحياة، فعليها السكن وبها الرزق وأسباب الحياة والمستقبل وعرف الوطن بانه(حيث اقمت في بلد او دار)[١٦]، والوطن:- المنزل نقيم به وهو موطن الانسان ومحله، [١٧] اذن هناك وطن كبير وهو البلد ووطن صغير هو الدار التي نسكنها وكانت على الرغم من بساطتها تعني الشيء الكبير للعربي في باديته، فدافع عنها وعدها مقدسة وجزءاً لا يتجزأ من كيانه فأن تركها ظلت شاخصة فهي تهيج الذكرى، وتبعث في النفس النجوى وتعيد الماضي وتخفف من متعب الدنيا وليس إمامنا أجمل دليل على هذا ما ذكره العرب في مقدمات قصائدهم وبطولاتهم كانت تفصح عن هذا الحب الكبير المنغمس في رونق الحياة وراء المستقبل وحيوية الأمل، ولم يعدوا البلد او الدار وطناً فحسب، وإنما اطلقوها على مريض الابل والغنم[١٨] والمكان الذي تجد فيه أمنها وأكلها ومأمنها عن الوحش والانسان.

اذن يبدو من اطلاق كلمة الوطن على كل ما فيه الطمأنينة والراحة ، يتوافق مع مشاعر الانسان اتجاه داره التي تنتظم مع دور الآخرين لتكون الوطن الكبير، وقد كان احساس العربي بوطنه كبيراً كما اسلفت ولهذا دافع عنه، وتحدى المعتدين ولو كانوا من ابناء جلدته ، فكيف اذا كانوا اجانب ؟ حتى جاء عن ابن عباس (لو قنع الناس بأرزاقهم ، قناعتهم باوطانهم ما اشتكى عبد الرزق).[١٩] وقد كان ينظر للرجل بالوفاء وحسن العهد وكرم الاخلاق وطهارة المولد مرتبط بحنينه لوطنه. وهذا واقع لانه الأم التي تحيط ولدها بحنانها وترضعه لبنها وتسعى الى تقوية بنيته وعقله فبقدر ما كان الوفاء جميلاً كان المرء ملتزماً والعكس هو الصحيح حتى قيل (اذا شئت ان تعرف الرجل وحسن عهده وكرم اخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه الى اوطانه وتشوقه الى اخوانه وبكائه على ما مضى من ازمانه)[٢٠]، وقد تنبه العربي الى اهمية الوطن ورعايته وحمايته فكان يعده السرور الدائم ان سلم وامن وان استقر فيه وجلس مع الأهل والإخوان وجعله مضاداً لهذا التنقل في البلدان والغربة عن الاوطان حيث قيل لاعرابي: ما الغبطة ؟ قال: الكفاية ولزوم الاوطان، والجلوس مع الاخوان، وقيل فما الذل؟ قال: التنقل والتنحي عن الاخوان.[٢١]

وتعبيراً عن الحب والوفاء له وكما اسلفت وردت مقدمات القصائد العربية في عصر ما قبل الاسلام وعصر الرسالة ليقف الشاعر على الدمن والطلول ويذكر الاحبة والاهل ويبكي الديار، وان دل هذا على شيء فانما يدل على تعلق العربي بتربة الوطن الذي انتصبت عليه خيامه، ورعت فيه ابله ولم يكن بديلاً عن الوطن مهما توافرت ظروف جديدة من العيش الرغيد ولهذا يقول الشاعر: [٢٢]

كم منزل في الارض يالفه الفتى وحنينه ابداً لأول منزل

والمهد الاول اذا فترت فيه اشياء ، فثمة شيء واحد لا يفتر، هو ذلك الحب الذي يعمر به فطرة ويبذله فطرة، لهذا ينشئ الناشئ على حبّه لمهده واهله ثم حبه لوطنه وامته.

ومهما تبدلت الاحوال وادلهمت الظروف ودالت الدول وتهيأ للانسان ظرف احسن واحلى ووفرت الحياة له متطلباته وطمنت حاجاته فان حنينه للوطن الاول سيظل هاجسه ، اينما ذهب وحل. يقول عبيد بن الابرص:[٢٣]

منزل دمّنة اباؤنا الـ ـموروثون المجد في اول الليالي

ويقول زهير:

امن ام وفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ديـــــار لهـــــا بـــــالرقمتين كانهـــــا مراجـــع وشـــم فـــي نواشـــر معـــصم
وقفـــت بهـــا بعـــد عـــشرين حجـــة فلأيـــا عرفـــت الـــدار بعـــد تـــوهم
فلمـــا عرفـــت الـــدار قلـــت لربعهـــا الاعـــم صـــباحاً ايهـــا الربـــع واســـلم

وهذا امرؤ القيس بعدما رأى ديار الحبيبة :-

قفـا نبـك مـن ذكـرى حبيـب ومنـزل بـــسقط اللـــوى بـــين الـــدخول فحومـــل

والمحب تراه يشفع حبه لبيئته بحبه لمحبوبته، ويهيج في نفسه حبه لمحبوبته حبه لبيئته.

فيقول ابو النصر الاسدي [٢٤] :

احـــب الارض تـــسكنها ســـليمى وان كانـــت بواديهـــا الجـــدوب
ومـــا عنـــدي بحـــب تـــراب ارض ولكـــن ممـــن يحـــل بهـــا حبيـــب

وبمثل هذا لهج لسان مالك بن الريب من قصيدة استهلها بتعلقه الرائع بالأرض ومهد الطفولة وأول ما عليه ان يقوله من باب العدل والمروءة وهو في محنته الأخيرة وفي آخر اللحظات من رحلة طويلة في الحياة حب الوطن[٢٥]:

إلا ليـــت شـــعري هـــل ابيـــتن ليلـــة بجنـــب الغـــضا أزجـــي القـــلاص النواجيـــا
فليـــت الغـــضا لـــم يقطـــع الركـــب عرضـــه وليـــت الغـــضا ماشـــى الركـــاب لياليـــا
لقـــد كـــان فـــي وادي الغـــضا لودنـــا الغـــضا مـــزار ولكـــن الغـــضا لـــيس دانيـــا

وجاء عن العرب ان ما أنسى وطنه وأهله غير مريض[٢٦] وحرص العربي كثيراً على الاعتزاز بوطنه ولو بعد عنه وكانوا يوصون أهلهم بدفنهم في أوطانهم وإذا مرضوا لا يتطببون إلا من وطأن شجر الحمض.[٢٧]

ويعزى الى جالينوس انه قال: يتروح العليل بنسيم اهله كما تتقوت الحبة ببل المطر اذا اصاب الارض.

كما يعزى الى ابقراط انه قال : عزاء الطبيعة من انجح ادويتها . وكذلك يعزى اليه قوله يداوى كل عليل بعقاقير ارضع فان الطبيعة تتطلع الى اهوائها وتنزع الى غذائها.

ولبعض الفلاسفة: قطرة الرجل معجونة بحب الوطن . ولأصحاب القيافة : اذا أحسنت النفس بمولدها تفتحت مسامها فعرفت النسيم [٢٨].

وكان العربي يستجيب: للإزعاج القاسي الملح فيرحل عن أرضه على مضض ينتجع ويطلب الكلأ وهو مع ذلك لا يذكر ان أرضه قست عليه فينساها بل يذكر انها مقسو عليها معه فيأسي لها ويرعى لها أيامه بها كما كان منهم ممن يتمسكون بأرضهم لا يبرحون منها منتجعين، يعدون هذا من فضل الرجل وكرمه تتسع صدورهم لها مع الجدب كما اتسع صدرها لهم مع الخصب [٢٩].

وكان الوطن عزيزاً على العربي عزة النفس عليه واذا ما غزا او سافر حمل معه من تربة بلاده، رملاً وعطراً يستنشقه عند نزلة او زكام او صداع ويطرحه في الماء اذا شربه.

وفي ذلك يقول شاعرهم :

نـــسير علـــى علـــم يكنـــه مـــسيرنا بعفـــــة زاد فـــــي بطـــــون المـــــزاود
لابـــد مـــن اســـفارنا مـــن قبيـــصة مـــن التـــرب نـــسقاها لحـــب الموالـــد

فهو الى جانب ما يحمل من عفة زاد، أي قليل منه قبيصة التراب ، أي قدر ما تمسكه اطراف اصابعه يخلطها بالماء اذا شرب يريد ان يجعل الماء الذي يقع عليه في الغربة ، اقرب الى مائه بعد ان ضمن غذاءه وهكذا كان يحرص العربي ان يعيش بطعامه ومائه انى رحل لا يريد ان يدخل على جسمه طعام غريب وماء غريب). [٣٠]

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتتجلى مظاهر الحنين للوطن عندما يبتعد الانسان عن وطنه وتكون ارضه ومهد صباه بعيدة عنه فقد كثرت اسباب الغربة وهجران الاوطان فمنها العيش وظروفه وطلب العلم وسيطرة الاجنبي، ومهما كانت الاسباب طوعية او قسرية فان احرف كلمة الوطن يرددها الفرد في كل حين ويستنشق عبير شذاه الفواح ونسماته العليلة كلما مرت ريح وكلما صدحت ايكة وكلما هدأ الليل او انبلج الصباح ، فيتعانق الشوق مع الامل ويستحضر المرء امام ناظريه وطنه الاول ، وقد جاء في لسان العرب تفسير لفظة الغربة [٣١]: وقد غرب عنا يغرب غرباً وغرب واغرب تغريباً: النفي عن البلد والغربة والغرب النوى والبعد فيقال : غرب في الارض واغرب اذا امعن منها والغربة والغرب (بضم الغين) والاغتراب والتغرب النزوح عن الوطن ، وقال الشاعر[٣٢]:

ما من غريب وان أبدي تجلده الا تذكر عند الغُربة الوطنا

فالاغتراب اذن كامن في فقد الألّاف والاحباب، وفقدان مذاق الحياة واشتهائها ما دام الحب معادلا لاستمرارية الحياة وخصبها، او بمعنى اخر الاغتراب هنا معادل موضوعي للعقم والجدب والعدم، وهي حقيقة كبرى في بيئة الشاعر القاحلة التي لا تعرف الخصب والعطاء، والحاح الشعراء على هذا المعنى في مطالع قصائدهم يوحي الى اليقين باحساسهم الشديد بطبيعة الحياة التي تسيطر عليها قوى القدر الذي يضرب ضرباته القوية فيفرق بين المحبين، وهي قوى لا يستطيع السيطرة عليها ولا زحزحتها حينا من الزمن).[٣٣]

وفي الغربة تتجلى مظاهر الشوق الى الوطن كبيرة واضحة ولا يعوض عن الاوطان المهجورة رقة عيش او نعومة حياة، والشوق وتوقان النفس مرتبطان بالحنين حتى ليقال حنت الابل : نزعت الى اوطانها واولادها.[٣٤] وفي هذا يقول الشاعر[٣٥]:

الا ليت شعري والحوادث جمة متى تجمع الايام يوما لنا الشملا
وكل غريب سوف يمسي بذلة اذا بان عن اوطانه وحفا اهلا

ويظل الغريب عن وطنه يذكره لما كسبه على رباه من فخر الفتوة وعز البطولة وهكذا كان الوطن، كما عرفه العربي جزءاً من حياته يشركه في لينه وبطشه يذكره بأسمه الصريح ولا يجتزئ عنه باشارة[٣٦].

حاول بعض الباحثين[٣٧] في الوطن والغربة ان يفصل الموضوعين بعضهما عن الاخر علماً ان عز الوطن والحنين له لا يتاتى الا بغربة المواطن عن وطنه او فقدانه عيشه فيه وهو يشعر بضيم وهضم وذل لهذا تعد الغربة عاملاً أساسياً في تفجير كوامن النفس وإثارتها للإفصاح عن مشاعر اللوعة والحسرة اتجاه الوطن وارتسام صورته امام ناظري المغتربين من أبنائه.

لقد شملت الغربة بردائها التعيس وعواملها المؤلمة واثارها القاسية الشعراء والعلماء والمواطنين في الشرق والغرب، ولشاعرنا ابن حمد يس الصقلي نصيب في هذا خاصة وانه وقع تحت طائلة الهجرة منذ صباه يوم شهد بعينه وطنه يمزق من قبل الغزاة فلم يرتضي لنفسه العيش في كنف الاجنبي فاثر الهجرة والعيش بعيداً عن صقلية السليبة فكانت له غرر من الشعر بث فيها عواطفه واحاسيسه بالغربة والحنين وهو حديثنا القادم.

المبحث الثاني/ الوطن في شعر ابن حمد يس الحياة الصقلية

اربعة وعشرون عاماً من الشباب قضاها الشاعر في صقلية متنقلاً في ربوعها، عاش في احضانها شاباً فارساً مرحاً، سار مع الفرسان الى الحروب، ومع الشباب الى الحانات وخرج مع الاصدقاء للصيد.

ولقد ولدت هذه الحياة صوراً حية في نفسه وتحولت آلاماً فيما بعد، وصارت ذكراها أسىً ونارا محرقة، عاش مع اهله واصدقائه وجلس مع احبته واعطى لنفسه الحرية فاخذ يرتاد مجالس الشرب

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واللهو وكان يشهد مجالس الغناء والرقص وأحب صباه وتفاني في حبه، ولكن لا يدري بعد كل هذا ان القدر بيت امراً !..

اخذ الروم في هذه الآونة يتكالبون على بلده، فكانوا يدخلونها ويغيرون عليها إلا ان ابناء صقلية ظلوا يدافعون بضراوة وبطولة متناهية وشجاعة فائقة للذود عن أرضهم وحضارتهم ودينهم بيد ان القوة كانت هي الغالبة واستطاع الروم السيطرة على البلاد ، وهذه الحياة الجديدة لم ترق لشاعرنا فخرج من بلده حزيناً كسيراً.

قلنا: ان لصقلية التي عاش شاعرنا فيها أربعة وعشرين عاماً من الشباب آثرها على نفسه والذي أدى به الى ان يصور هذه الأجواء في شعره ويخلدها في قصائده.

وسنحاول في هذا المبحث ان نبين الحياة الصقلية وآثرها في نفس الشاعر كما جاء في ديوانه وكيف تراءت له بلاده المسلوبة ؟ وهو يعيش في الغربة ! ان الشاعر احس بما يقع إمامه فصوره تصويراً دقيقاً، صور ابن حمد يس الحياة الصقلية بيئة حضرية غنية وبلاد خيرات زاخرة بالملذات، وجاء هذا في شعر الصبا وتكرر في المهجر فلهج بكل ما فقده من هذه البلاد.

واستطاع ان يرسم صورة واضحة لصقلية، رياضها الغناء الجميلة المبهجة للنفوس ذات الأقحوان الكثير الذي يضاحكه الضوء من وراء الغيوم فقال:

وما روضه حيّ ثري اقحوانها يضاحكها في الغيم سِنٌّ من السفح
كأن صباها للعرافين فتقت مداها بندّ فهي طيبة النضح[٣٨]

وصقلية بلد كثير الأنهار والبرك، انعم الله عليها بالخيرات فجعلها جنة الجزر ومن شعره نستشف الكثير من هذا فقال في نهر:

ولايس نقب الإعراض جوهرة له انسياب حباب رقشة الحبب [٣٩]

وفي شعره تظهر صقلية بلداً غنياً بالقصور الشاهقة والجوامع الكثيرة فيصف ثريا الجامع ويشبهها بالثريا النجمة قائلاً :

ومشبهة في الجو انوار اختها يضيء سناها كل اسحم داج
كأن صلالاً وسطها في مكامن تحرك فيها السنا بلجاج
وتحسبها تجلو على كل ناظر كواكب نار في بروج زجاج[٤٠]

ولم ينس ابن حمديس حانات صقلية وخماريها ومجالس لهوها ورقصها بل خلدها وبريشة الفنان رسم صورها الحضرية التي توافرت فيها وسائل المدنية انذاك ، فالخيرات منتشرة ووسائل اللهو متاحة، وكل شيء ترغب فيه النفس موجود فالخمرة وحاناتها والرياض وازهارها والانهار وسفنها والبيوت واثاثها والملابس وتنوعها، حتى صور شاعرنا المغترب عن بعد حياتها اللاهية في خمرياته مفصحاً عن شبابها اللاهي تارة والجاد تارة اخرى وصور الفوارس وخروجهم الى الحروب والصيد ورسم مشاهد اخرى لها اثرها البليغ فيما بعد على شخصيته فوصف النيلوفر، ووصف الشقائق والسفن التي تمخر في انهار صقلية ووصف حياة المجتمع الصقلي وما يدور فيه من حضارة ووصف كل شيء في صقلية ولنقرأ معاً احدى قصائده التي توضح هذا الجانب من الحياة الصقلية اللاهية والجادة فقال:

وذات ذوائب بالمسك ذابت بلغت بها المنى وهي التمني
منعمة لها اعزاز نفس يصرف دلها في كل فن
شموس من ملوك الروم قامت تدافع فاتكاً عن فتح حصن
نجد لاح فيه الورد غضاً وغصن ماس بالرمان لدن
فطالت بيننا حرب زبون بلا سيف هناك ولا مجن
وفاضت نفسها الحمراء منها وسالت نفسي البيضاء مني [٤١]

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهذه صورة اخرى للحياة الصقلية الا انها لاهية:

لله در عصابة نزلوا بين الرياض مجالساً خضرا
شربوا بكاسات معتقة شربت عقولهم بها سكرا
وكانما الاقمار تلثم من ايدي السقاة كواكباً زهرا
وكانما صور القنان وقد ملئت الى لهواتها خمرا
بيض الحسان وقفن في عرس لما لبسن غلائلاً حمرا[٤٢]

وصقلية جنة بحر الروم ذات الرياض الغناء في ازهارها الجميلة، فهو يصف النيلوفر والشقائق ويجيد القول في البحر الذي احاط وطنه، ولم ينس شاعرنا كل هذا، وظل يلهج بذكراه دائماً ، ولم تغب صقلية ولو للحظة واحدة عن خياله بل هي امام ناظريه كلما نظر وفي قلبه كلما نبض حتى يقول فيها:

بلد اعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس
وكان هاتيك الشقائق قهوة وكان ساحات الديار كؤوس [٤٣]

وبالفاظ رقيقة عذبة ابتغاها الشاعر لتوائم معانيه وافكاره رسم لنا اجمل الصور لصقلية السليبة.

المبحث الثالث / اهل صقلية وابطالها

خرج ابن حمد يس من صقلية ولكنه لم ينسها كما اسلفنا، بل ظلت هاجسه فتحسس آلامها والام اهلها وظل يقول المديح والرثاء في ابطالها وابنائها الكرام الذين نذروا انفسهم للذود عن بلادهم وتحريرها من يد الروم الغاصبين وابن حمد يس في هذا لم يكن متعصباً لقبيلته(الازد) ولا لعائلته وانما كان يصف الكرام من اهل صقلية وكان يفتخر بانه من اهل الثغر قائلاً:

ونحن بنو الثغر الذين نفوسهم ذكور باكبار المنايا تعرس
فمن عزمنا هندية الضرب تنتضى ومن زندنا نارية اليأس تقبس[٤٤]

ووصف ابناء صقلية بالابطال الشجعان، خلقوا للحرب وهم فوارس والتاريخ يشهد لهم من عهد النبي هود، هم الذين يميلون على الحاقدين برماحهم قائلاً:

زبانية خلقوا للحرو يشبون نيرانها بالوقود
ساعدهم مرهفات بُنينَ لهد الجماجم من عهد هود
هم المخرجون خبايا الجسوم اذا ضربوا بخبايا الغمود
هم المائلون على الحاقدين صدور رماحهم بالحقود
نجوم مطالعها في القنا ولكن مغاربها في الكبود
تخط الحوافر من جردهم محاريب مبثوثة في الصعيد
تخزُّ رؤوس العدى في الوغى لها سجداً ياله من سجود[٤٥]

اطال شاعرنا الكلام في ابطال بلده وانهم حماة في الوغى وايديهم يوم طعن السيوف تجعل كلى الاسد تاكلها الثعالب الى غير ذلك من الوصف والتشبيهات الرائعة لابطال وطنه فقال فيهم:

حماة اذا ابصرتهم في كريهة رضيت من الآساد من كل غاضب
اذا ضاربوا في مازق الضرب جردوا صواعق من ايديهم في سحائب
لهم يوم طعن السمر أيد مبيحة كلى الاسد في كراتهم للثعالب
تخب بهم قب يطيل صهيلها بارض اعاديهم نياح النوادب[٤٦]

وتذكر اصدقاء الصِّبا فاشتاق اليهم قائلاً:

وكم لي به من صفو ود محافظ لذي العيب من اعدائه غير غائب

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اخـــي ثقـــة نادمتـــهُ الـــراح والـــصبا ... لـــه مـــن يـــد الايـــام غيـــر ســـوالب
معتقـــة دع ذكـــر اعقـــاب عمرهـــا ... فقـــد ملئـــت منهـــا انامـــل حاســـب
اذا فـاض منهـا المـاء في مـضمر الحشا ... بـدا الـدر منهـا بـين طـاف وراسـب
ليـــالي لـــم يـــذهبن الا لآلئـــا ... نظمـــن عقـــوداً للـــسنين الـــذواهب[٤٧]

ولم ينس احداً من ابناء صقلية بل كان دائماً يتذكرهم ويتتبع اخبارهم ويثني على المقاتلين وعلى جهادهم لاسترداد الوطن من ايدي الروم فقال يمدح القائد (مهيب بن عبد الحكم الصقلي) ويذكرهم ما الحقه هذا القائد بالروم ويثني على جهاده في سبيل الوطن:

ان للقائـــــد عـــــزاً جـــــاره ... فـــي جـــوار الـــنجم محمـــي الجنـــاب
اســـد الـــروع الـــذي حملاقـــه ... يرســـل اللحظـــة موتـــاً فيهـــاب
صـــارم يبكـــي دمـــى الـــروم دمـــاً ... ان تغنـــي منـــه فـــي الهـــام ذبـــاب [٤٨]

الى ان يقول مخاطباً القائد:

وصـــل الغـــزو بتـــدمير العـــدى ... وأحيـــي فـــي العـــز لتـــسهيل الـــصعاب

وبهذه القصائد يمدح ابن حمديس الحي ويرثي الميت من مواطنيه الذين قتلوا في معارك الشرف او ماتوا، فرثى والده بابيات مؤلمة كما سلف وكذلك ابنته وزوجته وجوهرة جاريته ورثى القادة الصقليين امثال الشريف على ابن احمد الصقلي في قصيدة طويلة ورثى القائد عبد الغني بن عبد العزيز الصقلي.

وكان ابن حمديس كثير العطف على ابناء وطنه متتبعاً كل مايجري لهم في جزيرتهم حتى يستشفع لاهل سفاقس[٤٩] ، واتسائل هذا التشفع وما علاقة ابن حمديس بسفاقس؟ الجواب على ذلك بين لان الكثير من اهله واقاربه بعدما نزحوا من صقلية سكنوا هذه المدينة لذا نراه يخاطب الحسن بن علي امير المهدية قائلاً:

ومـــا ســـفاقس الا بلـــدة بعثـــت ... اليـــك عنهـــا لـــسان الـــصدى تعتـــذر
واهلهـــا اهـــل طـــوع لا ذنـــوب لهـــم ... انـــي لاقـــسم مـــا خـــافوا ومـــا غـــدروا
وانمـــا دافعـــوا عـــن حتـــف انفـــسهم ... اذ خـــدمتهم بـــه الهنديـــة البتـــر[٥٠]

واذا سمع اخبار انهزام الروم امام قوة المسلمين استبشر وتهلل وجهه وقال من قوة الابيات التي تكشف عن فرحته وتعبر عن نشوته وها هو يمدح الحسن ابن علي بن يحيى ويذكر انهزام عدو صقلية عام(الديماس):

ابـــى الله الا ان يكـــون لـــك النـــصر ... وان يهـــدم الايمـــان مـــا شـــاده الكفـــر
وان يرجـــع الاعـــلاج بعـــد علاجهـــا ... خزايـــا علـــى اثارهـــا الـــذل والقهـــر
لينهـــل فـــتح اولـــغ الـــسيف فـــيهم ... ولاح بوجـــه الـــدين مـــن ذكـــره بـــشر
بـــسعد كـــساك الله منـــه مهابـــة ... واشـــراق نـــور منـــه تقتـــبس الزهـــر[٥١]

ويذكر في القصيدة اسطول المسلمين وخيلهم وقوتهم :

اتـــوا باســـاطيل تمـــر كانهـــا ... جـــراد مظـــل ضـــاق عـــن عرضـــه البحـــر
وخيـــل حـــشوا منهـــا الفـــين ولـــم يكـــن ... لهـــا فـــي مجـــال الحـــرب كـــر ولا فـــر

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ركبت فرسانها صهواتها فارجلهم عنها التذلل والذعر
سلاهب اهدوها اليك ولم يكن جزاءً لذلك من علاك ولا شكر
فسل عنهم الديماس تسمع حديثهم فهم بالمواضي في جزيرته جزر

ويستهزئ بالروم وعقولهم الفارغة فيقول :

فما للعلوج امتد في الغي جهلهم اما كان فيهم من لبيب له حجر

وان كان ما فعلوه في صقلية يبقى حلماً وليس حقيقة كما يتوهمون :

فكم قسموا في الظن اميال ارضنا ولم يطأوا مكاناً منها هو الشبر
ولا وردوا من مائها حسو طائر تبلُّ به منه اذا يبس السحر

ويمدح بني دهمان وبني زيد الذين صدوا الاقوام الغازية التي انتهت الى الهزيمة فقال:

ودهم بني دهمان فاض على الوغى بكل فتى احلى بسالمة مر
وشاهدت من الظلال بالغر اوجه عليها بسور اذ تصدى لها تبر
وكرت بنو زيد على كل شيظم وسر المواظي في اكفهم جهر
وجاء بن زياد بصخر فكافحت عن الثغر انياب فلم يلثم الثغر

وأحياناً يبكي اذا سمع انتصار الروم وها هو يمدح تميماً امير المهدية وتفجع على دخول الروم صقلية فيقول:

لئن ظفرت تلك الكلاب باكلها فبعد سكون للعروق الضوارب
احين تغانى اهلها طوع فتنة يضرم فيها ناره كل حاطب
واضحت بها اهواؤهم وكأنما مذاهبهم فيها اختلاف المذاهب
ولم يرحم الارحام منهم اقارب تروى سيوفاً من نجيع اقارب[٥٢]

ولم يكتف ابن حمد يس بهذا بل راح يستصرخ العالم الاسلامي لتخليص صقلية من ايدي العلوج والقضاء عليهم وكان يستحث ابناء وطنه على الجهاد ويستنهض هممهم للجهاد والمقاومة ، كما عهدهم في مقاومتهم الشديدة للروم الذين لم يستطيعوا احتلال صقلية بين عشية وضحاها، واستبسلت(سرقوسة وبالزم ونوطس) [٥٣] هذه القلاع المنيعة ، وكلما سقطت بلدة كان وقعها على نفس بن حمد يس شديداً يدمي مقلتيه ويفجر قلبه اسى ولنقرأ خطابه لمواطنيه يحثهم على الجهاد فيقول :

بني الثغر لستم في الوغى من بني امي اذا لم اصل بالعرب منكم على العجم
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكم دواهٍ وانتم في الاماني مع الحلم
وكأس بام الموت يسعى مديرها الى اهل كاس حثها بابنة الكرم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهة مصرحة في الروم بالثكل واليتم
تهل من النقع المحلق بالضحى على الشمس ما هالته ليلاً على العجم [٥٤]

ويلوم من يسعد بارض غير ارضه او يرضى بوطن غير وطنه فيقول :

اعن ارضكم يغنيكم ارض غيركم وكم خالة حداء لم تغن عن ام

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وينصح بعدم الابتعاد عن الوطن ومعاناة الغربة المؤلمة وانها كالسم :

وايـــاك يومـــاً ان تجـــرب غربـــة فلـــن يـــستجيز العقـــل تجربـــة الـــسم

ثم يخاطب البقية، ويحرضهم ويستفزهم ويطلب منهم الحمية وكانه يوقد فيهم نار الايمان ليرسل بهم نجدة لمسلمي صقلية :

متـــى كانـــت دمـــاؤكم تطـــل امـــامكم بـــشار مـــستقل
اغـــانم ثـــم ســـالم، ان فـــشلتم فمـــا كانـــت اوائلكـــم تـــذل
ونمـــتم عـــن طـــلال المجـــد حتـــى كـــان العـــزم فـــيكم مـــضمحل
ومـــا كـــسرتم فيـــه العـــوالي ولا بـــيض تغـــل ولا تـــسل(٥٥)

وتسمو نفسه الأبية حتى تبلغ ذروة الطموح للعلى واسترجاع المجد الآفل :

بكـــر الخيـــل داميـــة النحـــور وقـــرع الهـــام بالقـــضب الـــذكور
لاقتحامهـــا حربـــاً عوانـــاً يـــشيب لهـــا رأس الـــصغير
فامـــا الملـــك فـــي شـــرف وعـــز علـــى التـــاج فـــي أعلـــى الـــسرير
وامـــا المـــوت فـــي ضـــبا العـــوالي فلـــست بخالـــد أبـــد الـــدهور(٥٦)

وهكذا رفع ابن حمد يس راية الجهاد عالياً في شعره مستفزاً حواس ابناء وطنه لتخليص جنتهم من ايدي الطغاة الذين عاثوا فيها خراباً، ودمروا معالمها قد افني فيها العمر من اجل ان تكون في منزلة حضارية متقدمة ولم يهدأ لشاعرنا بال ما دام الروم يسيطرون على الوطن السليب(صقلية).

المبحث الرابع/ الغربة والحنين في شعره

خرج ابن حمد يس من صقلية وفي مخيلته تلك الصور الجميلة والايام الباسمة التي لم ينسها وهجر(الجنة) صقلية وودع الأهل والاصدقاء الى حيث لا يدري، وكان يخشى البحر وركوبه الا ان اموراً اصعب من ركوب البحر الجأته اليه وجعلته يجوب الدنيا وارضه بيد الاجانب فخاطب نفسه:

واراك ركبـــت فـــي الاهـــوال بحـــراً عظيمـــاً لـــيس تـــؤمن مـــن خطوبـــه
تـــسير فلكـــه شـــرقاً وغربـــاً وتـــدفع مـــن صـــباه الـــى جنوبـــه
واصـــعب مـــن ركـــوب البحـــر عنـــدي امـــور الجأتـــك الـــى ركوبـــه(٥٧)

نعم، امور صعبة مرت الجأت الشاعر الى ان يتحمل الأهوال بعد ان كانت البلاد مستقرة هادئة ولم يهم في العودة الى صقلية على الرغم من المراسلات التي تلقاها من اهله الا أنه يقول:

ولـــو ان ارضـــي حـــرة لأتيتهـــا بعـــزم يغـــذ الـــسير ضـــربة لازب
ولكـــن ارضـــي كيـــف لـــي بفكاكهـــا مـــن الاســـر فـــي ايـــد العلـــوج الغواصـــب(٥٨)

وبما ان ارضه مغتصبة فلم يؤمها ولكن كيف بفكاك هذه الارض من ايدي العلوج ؟ واحس ابن حمد يس بالغربة ، تقطع اوصاله اينما اتجه وعلى الرغم من الحال في اشبيلية لم تختلف عنها في صقلية من حيث الرياض والحانات واللهو والحضارة ووسائل الراحة الا انه لم ينس وطنه وندب حظه على

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الغربة وسوء الطالع فكم من فلاة جابها وهو غريب مشرد عن الديار ؟ وربما أراد القول ان كل ارض عدا صقلية صحراء مجدبة :

ما لي اطيل عن الديار تغرباً ... أفبالتغرب كان طالع مولدي
ابداً ابدد بالنوى عزمي الى ... أقل باطراف البلاد مبدد
كم من فلاة جبتها بنجيبة ... عن منسمٍ دام وخطم مزبد
أبقى الجزيلُ لها جميلَ ثنائه ... في العيس موصولاً بقطع الفدفد
ضربت مع الاعناق اعناق الفلا ... بحسام ماء في حشاها مغمد (٥٩)

وكانت الأنباء الاليمة تصل من صقلية فتترك أثرها العميق في زيادة شعوره بالغربة، والبعاد فكلما جاءه خبر مؤلم زاده ألماً وحزناً وكآبة وها هو يرثي عمة له بقصيدة فيقول في آخرها:

ام ترانا في نوى مستمرة ... نروح ونغدو كالمصر على الذنب
فلا وصل الا بين اسمائنا التي ... تسافر منا في معنونة الكتب
فدائمة السقيا سماء مدامعي ... لخدي وأرض الخد دائمة الشرب (٦٠)

فلا لقاء الا بالرسائل ، وكانت وسيلته للاتصال وعند وصولها كانت الدموع لا تهدأ بل هي في سيل على الخدود الممحلة الذابلة ومن الم الوجود والفراق والبعد والغربة.

وكان يتمنى ان يلتقي بالأحباب والأصدقاء ثانية وحينئذ تعم السعادة والسلوى ويذهب الحزن واليأس فقال:

كم من غريب حنت اليه غريبة ... وكئيب شجاه شجو كئيبة
سُلطت كربة التنائي علينا ... فعسى فرحة التداني قريبة
فمتى نلتقي فتصبح منا ... كل نفس لكل نفس طبيبة (٦١)

وكلما راى ابن حمد يس شيئاً الفه في بلاده أحس بانه غريب وها هو يصيح عندما يرى النيلوفر:

هو ابن بلادي كاغترابي ... كلانا عن الاوطان ازعجه الدهر(٦٢)

وفي هذه الاونة ماتت ابنته فزادت الآلام والاحزان، وكثر الشعور بالإغتراب الذي قطع النفس وجعلها عليلة، وبكى ابنته ثم نفسه قائلاً:

أراني غريب قد بكيت غريبة ... كلانا مشوق للمواطن والاهل
بكتني وظنت أنني متّ قبلها ... فعشتُ وماتت وهي محزونة قبلي(٦٣)

ان هذه الابيات وغيرها من شعر الغربة في ديوان ابن حمد يس لتنبي عن خلجات نفس اليمة معذبة وتوضح عن صدق مشاعر من مواطن اتجاه وطنه الذي لم ينسه حتى في لحظات الفرح والبهجة، فهو حين يلتقي بالمعتمد بن عباد في إشبيلية ويدنيه المعتمد من مجلسه نراه في تلك اللحظة التي يجب ان يدخل فيها الى قلب المعتمد عن طريق المدح، والملق يعبر عن عواطفه فتتجلى الحركة النفسية حزينة متالمة والتجربة الشعورية متشائمة يائسة كانه لم يكن في مجلس أمير، وكان هذا اللقاء لم يكن بداية عهد جديد من حياة الشاعر، اما المشهد الموحي فهو كور زجاج كانت النار تلوح من بابيه والموقد يفتح البابين ويسدهما بطريقة رتيبة والمعتمد ينظر الى ذلك بتأمل وعناية ثم يطلب الى الشاعر ان يشاركه في

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصف هذا المنظر فتبرز الصورة في ثلاثة ابيات للمعتمد منها الشطر الاول من كل بيت ولابن حمديس الشطر الثاني وهذه الصورة:

انظرهـا فـي الظـلام قـد نجمـا كمـا رنـا فـي الوجنـة الأسـد
يفـتح عينيـه ثـم يطبقهمـا فعـل امـرئ فـي جفونـه رمـد
فـانبزه الـدهر نـور واحـدة وهـل نجـا مـن صـروفه احـد

وهنا تلتقي حركة النفس بحركة المنظر ويتجاوب الاحساس مع النار الموقدة فكان الياس وكان الدهر والظروف التي لا ينجو منها احد وكان على الشاعر ان يفيد نفسه ويكون فناناً في تلك اللحظة، فيجامل ويتملق وهو في مجلس المعتمد في أول لقاء به ولكنه لم يستطع ان يخرج عن حدود الطبيعة النفسية وذلك القلب الذي حمل معه رصيداً كبيراً من الالم [٦٤].

كانت الغربة احدى الدوافع التي اثارت شاعريته واثرت في شعره وفتحت قصائده في الوداع [٦٥] والرحيل والغربة الحركة الفنية في الحوار الجميل الذي يدور بين مودعته فطلب منها اباحة المحظور في هذه اللحظة التي تعد من احرج اللحظات التي تمر على الانسان [٦٦].

ومنذ بداية رحلته عن الوطن (صقلية) قال قصائد بث فيها شعوره بالغربة والحنين ووصف فيها مقاومة ابناء وطنه للغزاة النورمان، وقد ضمن قصائده شكواه من الدهر مثلما ضمنها آماله ومساعيه في طلب المجد والعلى مفتخراً برحيله الدائب وعزمه الشديد[٦٧].

ان حياة الغربة سيطرت على كل عواطف الشاعر مهما بلغ من درجة من اللهو والعبث اللذين لم يعالجا النفس الكبيرة الا مؤقتاً وما اتجاهه نحو اللهو في حياته الا قليلاً لينفس عن الالام المتراكمة في نفسه وعن الحسرات الكثيرة في صدره ففي هذا المشهد كان يجب عليه ان ينسجم مع جماعة الشاربين لكنه يتذكر أيام الصِّبا ويبكي فيقول:

قـضت فـي الـصَّبا الـنفس أوطارهـا وابلغهـا الـشُيبِ انـذارها
نعـم وأجيلـت قـداح الهـوى عليهـا فقـسمن أعـشارها
ومـا غـرس الـدهر فـي تربـة غراسـاً ولـم يجـن أثمارهـا
فأفنيـت فـي الحـرب آلاتهـا وأعـددت للـسلم أوزارهـا[٦٨]

ثم يعرج الى الخمرة فيذكرها :

كميتـاً لهـا قـرح بـالفتى إذا حـث بـاللهو أدوارهـا
تناولهـا الكـوبُ مـن دنهـا فتحـسُبه كـان مـضمارها

وينتقل الى الساقية فيصفها قائلاً :

وسـاقية زررت كفهـا علـى عنـق الـضبي ازرارهـا
تـديـر بياقوتـة درة فـتغمس فـي مائهـا نارهـا

فهل هذا الجو اللاهي المليء بكل وسائل اللهو والراحة من احزان ؟ وهل لا ينسى المرء همومه بمثل هذه المجالس الرقيقة ؟ الا ان شاعرنا لم ير فيها شيئاً وكانها لم تكن، ويذهب السرور وتذهب الساقية والاصدقاء جانباً ويعود الى حالته النفسية فيتذكر صقلية قائلاً:

ذكـرت صـقلية والاسـى يهـيج للـنفس تـذكارها

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومنزلـــــــة للتـــــــصابي خلـــــــت وكـــان بنـــو الظـــرف عمارهـــا
فـــإن كنـــت اخرجـــت مـــن جنـــة فـــاني احـــدث اخبارهـــا
ولـــولا ملوحـــة مـــاء البكـــا حـــسبت دمـــوعي انهارهـــا

تذكر الجنة وتذكر كل ما يكون بالجنان فسرى شريط على خلده حاملاً كل معالم بلده اوحى بها هذا المجلس فتذكر انها جزيرته عند انهمار دموعه على خديه.

وبالالفاظ الحزينة التي شاعت في ثنايا هذه المجموعة من القصائد التي اختارها رقيقة عذبة على الرغم مما حملته من معاني الحزن والالم والشكوى وهي (الاسى، الشقاء، الاهوال، الخطوب، الصروف، الغريب، حنين النوى، النفس، الوطن، الرزايا، الاهل، الصبا، الاصدقاء).

وحن الى أرضه التي دفن فيها اهله فقال:

احـن الـى ارضـي التـي فـي ترابهـا مفاصـل مـن اهلـي بلـين واعظـم
كمـا حـن فـي قيـد الـدجى بمـضلة الـى وطـن عـود مـن الـشوق يـرزم
وقـد صـغرت كفـاي مـن ريـق الـصَّبا ومنـي مـلآن بـذكر الـصبا فـم [٦٩]

وكان يفخر بابناء صقلية فعدد مفاخرهم ومناقبهم وكيف كانوا يذودون عن بلادهم من تكالب الاعداء عليها ؟ :

ونحـن بنـو الثغـر الـذين ثغـورهم اذا عبـست حـرب لهـم تبتـسم
ومـن حلـب الاوداج يغـذى فطيمنـا بحجـر مـن الهيجـاء سـاعة يفطـم
لنـا عجـز الجـيش اللهـام وصـدره بحيـث صـدور الـسمر فينـا تحطـم
يـضاعف ان عُـدَّ الفـوارس عـدنا كـأنّ الـشجاع الفـرد فينـا عرمـرم[٧٠]

وذات يوم سمع الحمام يسجع فكانت الذكرى للصبا ولعصر الشباب الذي مضى وفي الدار التي تركها وترعرع فيها طفلاً، وللورقاء فعل مؤثر في نفس الغريب رقيق الإحساس فتحركت مشاعر ابن حمد يس وهواجسه فجاءت بهذه الأبيات:

فورقـاء لـم تـأرق بحـزن جفونهـا وبليـة لـم يـدر منهـا الأسـى بـال
واذكرتنـي عـصر الـشباب الـذي مـضى ليـروى فيـه بـالتنعم اسـبال
ونـضرة عـيشٍ كـان همـي جامـداً بـه حيـث تبـرى فـي الزجاجـة سـيال
ودار غـدونا عـن حماهـا ولـم نـرح ونحـن اليهـا بـالعزائم قفـال
بهـا كنـت طفـلاً فـي ترعـرع شـرتي ألاعـب ايـام الـصَّبا وهـي اطفـال
كـستني الخطـوب الـسود بـيض ذوائـب ففـي خلتـي منهـا لـدى البـيض اخـلال
ابعـد انـسياب الهـوى اقطـع الفـلا ويـسفح لـي مـن وحـشها الجـاب والـرال
ومـن بعـد ورد فـي مقيلـي وسوسـن اقيـل ومـشمومي بهـا الطلـع والـضال[٧١]

الى ان يقول:

الاحبـذا تلـك الـديار أو اهـلاً وياحبـذا منهـا رسـوم واطـلال
وياحبـذا منهـا تنـسم نفحـة تؤديـه اسـمار الينـا وآصـال
وياحبـذا الاحيـاء مـنهم وحبـذا مفاصـل مـنهم فـي القبـور وأوصـال

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وياحبذا ما بينهم طول نومة تنبهني منها الى الحشر أهوال

ويشعر القارئ بمدى الحب الذي غمر به ابن حمد يس بلده السليب ولأهله هذا الوفاء الذي ملك عليه كل حياته، وعارض في الابيات السالفة قصيدة للعربي الا أن قصيدة ابن حمد يس ترمي بشرر الحنين وتحرك العواطف وان تكرار عبارة(الاحبذا) و (يا حبذا) اعطت ظلالاً زادت المعنى جمالاً والموسيقى عذوبة، قلنا ان شاعرنا لم تهدأ حاله دون ذكر صقلية التي تمشت اليها الخطوب، ولم يشعر بالراحة دون ذكر هذه الديار التي قضى فيها الصبا وصحب في بواديها الاشداء وزار حاناتها وهذه الجنة التي لبست ثوب الشقاء ولو سمحت ظروفه بالوصول اليها لركب الهلال زورقاً ليعانق الاحباب واسمعه يقول:

ديار تمشت اليها الخطوب كما تتمشى الذئاب الضراء
صحبت بها في الغياض الاسود وزرت بها في الكناس الظباء
وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها لا الشقاء
اذا انا حاولت منها صباحاً تعرضت من دونها لي مساء
فلو انني كنت اعطى المنى اذا منع البحر منها اللقاء
ركبت الهلال به زورقاً الى ان اعانق فيها ذكاء (٧٢)

وبكى صقلية بكاءاً حاراً بعد ان علم انها سقطت تماماً بيد الروم وكان يندب نفسه التي خرجت من تلك الجنة قائلاً:

ذكرت صقلية والاسى يجدد للنفس تذكارها
فان كنت اخرجت من جنة فاني احدث اخبارها
ولولا ملوحة ماء البكاء حسبت دموعي انهارها (٧٣)

وبعد فان لابن حمد يس في هذا المضمار – الذي طغى على شعره فجعله يعج بالالام والحسرة والاهات – باعاً طويلاً حتى ان هذا الالم الشديد الذي رافقه طوال حياته قد تطور في النهاية الى لون آخر من الوان الشعر فيه الدعة والسكون والاستسلام الى الخالق القدير والركون الى عفوه ومغفرته فهو في شعره هذا يشبه المتصوفة ويميل الى افكارهم ولكنه يختلف عنهم او عن كثير منهم – بصراحته واعترافاته (٧٤)

ومن خلال ما سبق ذكره التقينا ابن حمد يس شاعراً وفيا (أصدق ما يكون الوفاء).(٧٥)

وكان اثر النكبة عظيماً على نفسه الرفيعة ولم تعوضه الاوطان الجديدة شيئاً عن وطنه صقلية ، مثلما كان الشاعر (ابو العرب الصقلي) الذي ذهب يفلسف تشرده فيقول:

اذا كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي(٧٦)

وقد اقر التاريخ لابن حمد يس وقفته البطولية الرائعة من وطنه السليب فذرف الدموع سخية قياساً على النفوس الصقلية الاخرى التي ربما كان ابو العرب خير مثال لها.

واخيراً فابن حمد يس شاعر الحنين والغربة ومقاومة الاحتلال يذكرنا شعره بادب التحدي والتصدي وشعر الثورة العربية الذي حن الى الاوطان وبكاها وحرض وما زال على القتال والثورة

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لطرد الاجنبي المحتل، اينما وجد على الارض العربية ، كما انه صورة معبرة عن منغصات الغربة والشكوى منها.

الهوامش

١. معجم البلدان : ٤٧١/٣.
٢. الديوان: ٣ والاعلام: ٤٧/٤ ودائرة المعارف الاسلامية : ١٤٥/١ ، ومعجم المؤلفين: ٧٩/٥ ووفيات الأعيان: ٢١٢/٣ والمطرب في أشعار أهل المغرب :٥٤ .
٣. دائرة المعارف / فؤاد البستاني ٩٦٩/٢ والمسلمون في صقلية : ٢٤٢
٤. نزهة المشتاق في المكتبة العربية الصقلية : ٧٦
٥. الديوان : ١٢
٦. مسالك الابصار في المكتبة العربية الصقلية: ٦٥٣
٧. ينظر نهاية الارب في المكتبة العربية الصقلية : ٤٤٧
٨. الديوان : ٣١
٩. ذهب بعض المؤرخين الى ان رحلته الى الاندلس كانت في سنة ٤٧١هـ ولكن المرجح انه خرج من صقلية عام ٤٧٠هـ ودخل الاندلس عام ٤٧١هـ ، ينظر الديوان: ١٦٧، ودائرة المعارف الاسلامية : ١٤٥/١ ودائرة معارف فؤاد البستاني : ٢/ ٤١٩ والاعلام: ٤٧/٤ ومجلة المناهل البغدادية س١ ع١ : ٦ ووفيات الاعيان : ٣/ ٢١٤ والمطرب في اشعار اهل المغرب:٥٤.
١٠. دائرة المعارف الاسلامية : ١٥٤/١ والديوان : ٥٣٠ .
١١. خريدة القصر في المكتبة العربية الصقلية : ٦٠٧ .
١٢. كشف الظنون : ٢٩٠/١
١٣. م.ن
١٤. هدية العارفين : ١/ ٤٩٩ وفيات الاعيان : ٣٨٣/٢ ، مطالع البدور : ٣٦/١ اذ جعلها الغرولي عام ٥٢٩هـ
١٥. المكتبة العربية الصقلية : ٦٥٣
١٦. المخصص . ابن سيدة : ١١٩/٤
١٧. جمهرة اللغة ، ابن دريد : ١١٩/٣ ولسان العرب : ٤٥١/١٦
١٨. جمهرة اللغة : ١١٩/٣
١٩. الوطن : ابراهيم الابياري : ١٢
٢٠. مطالع البدور ، الفرولي : ٤٩٢/٢
٢١. الوطن : ٦٣
٢٢. م.ن : ٥٨
٢٣. معلقات العرب ، بدوى طبانة : ١٤٧
٢٤. الوطن : ٢٧
٢٥. كتاب التراث ، محمود الجادر وبهجت عبد الغفور : ١٠٧
٢٦. الوطن : ٦
٢٧. م.ن : ٣٦
٢٨. م.ن : ٣٨
٢٩. م.ن : ٣٤
٣٠. م.ن : ٣٥

ISSN-1994-697X

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣١. لسان العرب : ٦٣٧/١- ٦٣٩
٣٢. الوطن : ٦٤
٣٣. الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، ماهر حسن فهمي :٨
٣٤. لسان العرب : ١٢٩/١٣
٣٥. الوطن : ٦٣
٣٦. م.ن : ٢٧
٣٧. انظر الغربة والحنين في الشعر العربي الاندلسي ، احمد حاجم محمد ، رسالة ماجستير بالرونيو ص ١٣٥
٣٨. الديوان : ٧٨
٣٩. م.ن : ٢٥
٤٠. م.ن : ٧٧
٤١. م.ن : ٤٨٩
٤٢. م.ن : ١٨٠
٤٣. م.ن : ٥٥٣
٤٤. م.ن : ٢٧٩
٤٥. م.ن : ١١٥
٤٦. م.ن : ٣١
٤٧. م.ن : ٣٣
٤٨. م.ن : ٦٩
٤٩. م.ن : المقدمة:١٥
٥٠. م.ن : ٢٥٠
٥١. م.ن : ٢٥٢
٥٢. م.ن : ٢٨
٥٣. صبح الاعشى ، القلقشندي : ٣٧٤/٥
٥٤. الديوان : ٤١٦
٥٥. المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا : ١٨٥
٥٦. م.ن
٥٧. الديوان : ٨
٥٨. م.ن : ٣١
٥٩. م.ن : ١٦٨
٦٠. م.ن : ٣٧
٦١. م.ن : ٢٦
٦٢. م.ن : ١٨٥
٦٣. م.ن : ٣٦٦
٦٤. مجلة المناهل البغدادية س١ ، ع٨ : ٧
٦٥. ينظر الديوان : ٥،٣٠،٢٤٥،٣٠٣،٣٠٤،٥٠٩
٦٦. الغربة والحنين ، مرجع سابق : ٥٩
٦٧. م.ن
٦٨. الديوان : ١٨٠

ISSN-1994-697X

Urgent

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٩. م.ن : ٤١٦
٧٠. م.ن : ٤١٣
٧١. م.ن : ٣٥٧
٧٢. م.ن : ٤
٧٣. م.ن : ١٨٠
٧٤. مجلة المناهل، مرجع سابق: ٦
٧٥. ابن حمد يس الصقلي ، علي العراقي : ٧٥
٧٦. العرب في صقلية : ١٨٤ .

Urgent

ISSN-1994-697X

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com